

14 JUN 1955

# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الخامس	ديسمبر سنة ١٩٥٤	العدد الرابع
---------------	-----------------	--------------

محتويات هذا العدد

صفحة

٢٧

٣ حاتم الطائي في الهند **الموضوع**

## حاتم الطائي في الهند

لا شك أيها القارى العربى! إنك تعلم من حاتم شخصية عربية اشتهرت بين الناس بالسخاء، ولكنك لا تعلم منه ما تفنن به القاصون فى اللغة الفارسية، وأخذوا منه مادة للوضع والابتكار فى القصة. ثم إنك لا تعلم أن كاتباً هندياً أضاف إليها من الزيادات ما جعل قصة حاتم فى الهند كأحدى روايات البطولة العصرية الممثلة للمشاهدة على الستار الفضى. وها دونك منها بعض المناظر، فتمتع بالخيال وروائع ساعة، كما أنت متمتع بالحقيقة منها وحدودها — المدير

كان فيما غبر من الزمان فى اليمن ملك يحكم البلاد بالآهبة والجلال حكماً عادلاً، وكان له من الجنود والقوات ما لا تعد، ومن الخزائن والثروات ما لا تحصى. وقد سعدت به الأيام إذ كانت ابنة عمه تقاسمه الحب وتشاركه الحياة. فزاد سعادته أن رزق منها ولد كالقمر المتلألأ فى سماء دولته. فدعى الكهنة والمنجمين يوم ولادته ليتأملوا فى طالع المولود ويعلموا من نصيبه، ففعلوا وأخبروا الملك إن القادم فى أقصى السعادة والتوفيق من طالعه وإنه سيمتلك الإقليم السبعة ويولياها، ويعيش عيشة من يقضى حياته كلها لله وحده ساعياً وراء حاجيات العباد، فيدوم اسمه دوام الشمس إلى يوم القيامة. ما أن سمع الملك بذلك حتى خر ساجداً لله، شاكرًا له على ما أنعم عليه. وانهال على الكهنة من العطايا حتى أغنهم. وسمى المولود «حاتم»، ثم أمر أعيان دولته أن يبلغوا الشعب فى البلاد ينسأدوا فيهم كل مكان أن يبعث بكل من ولد يوم ولادة حاتم، إلى القصر

الملكي، فهم موظفون منذ أول يوم الحياة رسميون، وعلى الدولة أن تنفق عليهم على حسابها فترات تربية تحت الاشراف الملكي. وما هي إلا ساعات حتى أتوا بالذين ولدوا ذاك اليوم وكنوا ستة آلاف، فأدخلهم قصر الملك حيث قام لهم الخدم بكل ما يلزم، وعينوا لكل واحد منهم مرضعة تشتغل به وتريه.

وأما حاتم فخصصوا له أربع مرضعات مهمين به مكترئين له ولشؤنه كل الاكثرات، ولكن حاتم رغم جهود المرضعات، لم يمتص ولا حلمة واحدة منهن. وكان كلما حاول ان ارضاعه، ازداد امتناعا، فأخبروا بذلك الملك، ففرع الملك قلقا ودعى المنجمين، فسألهم عما إذا كان الداعي لهذا الاضراب. فأجابوا إن هذا الولد، يا جلالة الملك! مطبوع على السخاء ومفطور على الايثار منذ صغره، فلا يبدأ له البال، إلا إذا ارتضع الاولاد، وإنه كذلك لا يأكل على مائدته وحدا ما يعيش على وجه البسيطة. فكان الامر كما ظن المنجمون.

ولما بلغ أشده شب على الايثار، وعلى حب الاتفاق في سبيل الله، وعلى التهالك وراء مواساة الاشقياء والبائسين. فذهب ينفق بما اختزنه أبوه من الفضة والذهب ومن الكنوز على الفقراء والمساكين بغير حساب، وكان يدارى الحيوانات شفقة بها ورحمة عليها. فقد صنع له ذات يوم أنه خرج إلى الصحرا، وإذا بأسد نأثر يواجهه، وقف حاتم مكانه وقفة حائر فيما يعمل، هل يدفع عن نفسه فيطعنه بخنجره، أو يقدم له من لحم وعظامه مأكله المرغوب؟ فاختر تضحية نفسه وخاطب الأسد قائلا: أملا وسهلا يا ضني! مرحبا بك يا عزيزي! لك مني قسي وحصاني فاختر منها ما تحلو وما تشاء واشبع بما ترغب فيه بكل هدوء وسلام.. فأنثر الأسد بما رأى في حاتم من الايثار والكرم، وارتمى بنفسه بين يديه يمسح بوجهه قدميه شاكرًا له ثم مضى لسبيله.

طارت بذلك صيت حاتم وذاعت بين البلاد من أقصاها إلى أقصاها وأصبح

ياتيه الناس من أماكن نائية قاصدين إليه مدفوعين بما سمعوا عنه من مكارم الخلق وجمال الخلق.

وكان يحكم خراسان في تلك الأيام، ملك مطاع ملاً البلاد أمنًا وسلامًا وأغناها رغداً وثراءً. وكان مضروب المثل في حكمه العادل، حتى كانت موارد الأسد في أيامه مناهل الأغنام، لا يروعها ذعر ولا يغيرها شره. وكان يسكن خراسان إذ ذاك تاجر كبير يدعى «برزخ»، وكان شعييا محببا لدى الناس، ومكرما عند أعيان الملك. فما زال حتى شاخ وأصبح يشعر بالأجل المقدر يقتربه رويدا رويدا. ولم يكن له من يرثه غير إبنته الوحيدة «حسن بانو». وكانت حديثة السن بلغت من عمرها الثاني عشر. فأورثها برزخ كل ما كان يملكه ثم وكل أمرها إلى الملك، صديقه الصميم منذ عهد قديم. فقام الملك بأمرها خير قيام وعامل بها كاحدى بناتها غير محتفل بثروتها الطائلة وذخائرها النفيسة من الآلى الفاخرة والأحجار الكريمة وكل ما كانت تملك من الأمتعة والأموال.

ترعرعت حسن بانو وكبرت حتى بلغت سن الرشد. فدعت مرضعتها يوما عندها وأفضت إليها:

«أمى الحنون إننى أرى الدنيا وما فيها فقايع فوق الماء، لا تلبث أن تزول، فما لى وهذه الزينات والزخارف حولى، وما لى وهذه الأموال المبعثرة تحت أقدامى، وأنا وحيدة فى العالم، أليس لى من الصالح المعقول، أن أفقها كلها فى سبيل الله، وأوزعها بين العجزة والمعوزين، وأن أعيش عازبة بعيدة عن لطخات الدنيا وأرجاسها، وأقضى حياتى عابدة، ذاكرة، فى زاوية من زوايا البيت؟ أفقنى يا أمى يا عضدى فى حياتى! ما العمل؟ وما وجه العمل؟ وأرشدنى كيف أخلص نفسى من مآزق فكرة الزواج وما يتبعه؟»

فردت إليها بحية: «لا تقلقى بالك يا فلذة كبدى ولا تحزنى فالجيلة محكمة الحك،

تضمن لك ما تريد من الزمان، فلتق على بابك لوحا أكتبى عليه سبعة اقتراحات واشترطى لمن يحاول زواجك أن يأتي بالرد عليها. وأما الاقتراحات فهي:

- (١) شاهدته مرة وأتيت أن أراه أخرى.
- (٢) أحسن والى حسناتك فى البحر.
- (٣) إسائك إلى غيرك عادة إليك.
- (٤) لا يزال الصادق مأمونا مرتاحا.
- (٥) الحكاية عن جبل النداء.
- (٦) إحضار حبة درة تعادل بيضة بطة بحرية كزوج للدرة الموجودة حالا.
- (٧) الحكاية عن حمام بادگرد.

برقت أسرة حسن بانو لما سمعت، فبسطت، وارتاحت، وقالت فى نفسها، ما أظن أن يجب على هذه الاقتراحات أحد. فبدأت، وعادت معتكفة فى زاوية بعيد الله وتذكره. ثم حدث أن صعدت يوما شرفة منزلها، وجلست تنفرج على الشارع المواجه لمنزله الممتد المنسق بالخوانيت بطرفه، إذ رأت زحاما من الناس يتوسطهم درويش، عليه مسحة الورع، يمر بكل وقار وله أربعون تابعا يفرشون له فى سبيله اللبن من الفضة والذهب وقاوية أن تمس أخمص قدميه وجه التراب. احتارت حسن بانو بهذا المنظر واندثشت وأسرعت إلى المرضعة سائلة عن الدرويش الماشى بهذه الفخامة والجلال.

• من يكون هذا يا أمى! أظنه رجلا مبروكا وعارفا بلغ من السلوك والمعرفة أقصى الدرجات..

• إنه يا عزيزتى مرشد الملك وشيخه، يزوره الملك نفسه فى كل شهر ثلاث

و أربع مرات على الأقل وهو يختلف إليه أحيانا وأنه ورع، تقى لا يدانيه أحد  
ن ورعه وتقواه..

« فهل يسرك إذن أن نلتبس إلى فضيلته يوما أن يشرف منزلنا كضيف  
محترم المقام؟ »

« هنيئاً لك ما ترغبن فيه يا عزيزتى! »

فأرسلت حسن بانو إلى الشيخ تدعوه إلى يبتها، ورضى الشيخ وضرب لها  
الصبح موعداً. فما أن وطئ الرسول عتبة دارها يبشرها بالموعد حتى اهتزت  
حسن بانو فرحاً وأمرت الطهارة أن يطبخوا من أشهى المأكول وألذها وأكدت  
الخدم أن يملأوا الصحون والصفحات من أطيب الأثمار الرطبة وأحلى الفواكه.  
وأن يضعوا من ألوان الحلوى فى الأواني الملونة المتلألئة وأن يجعلوا من الذهب  
والفضة ومن الدرر والأحجار الكريمة صرراً وعلباً لتقدمها كلها منها هدية إلى  
الشيخ بمناسبة تشريفه إياها.

فلما أصبح، خرج الشيخ من داره ماشياً على الممر الذهبى كالمعتاد وبلغ بيت  
حسن بانو على الموعد المضروب، فدخل عتبة البيت حتى وصل القاعة المعدة  
للجلوس وكانت مفروشة بالبسط المطرزة المزركشة وأخذ مجلسه. فأتوا بصحاف  
وصحون وقصعات ملئت ذهباً وفضة وأقداح وعلب فيها حبات من الماس وعقيق  
ولؤلؤ وقناتس أخرى. ولكنه أبى أن يقبل منها لنفسه أى شئ. وقال مالى وهذه  
البضاعات اللاهيات. فتقدم إليه الخدم وكانوا واقفين حول المجلس فى أجل  
الازياء وأبهى الحلل، حاملين بأيديهم أكواباً وأباريق فيها ماء عذب سائغ للشاربين  
ومد المائدة أمام الضيف المحترم وأتباعه، ثم رتبوا فوق المائدة من أصناف  
الأطعمة كل نوع ومن ألوان الحلوى والأثمار كل قسم، والتمسوا إليه أن سيلاهم  
ترجوا أن يذوق فضيلته شيئاً. فالتفت نحو المائدة وبدأ يلتقم منها متوسماً فى

فألقى ما في البيت ليتعلمها كما يتلع الطعام، فكان يرفع يمينه باللقمة وقبسه تناجيه، إن برزخ كما تشهد به داره بأنائها وجلالة شأنها كان يملك في حياته ثروات السلاطين وكان يعيش عيشة الأمراء والملوك، فالفُرصة سانحة لأن يذهب بكل الخارف والثروات إلى بيته دون أن تتجلى ليلة ذاك اليوم، فأمسك عن الطعام وفرغت نفسه من تقدير الآواني الذهبية وما في داخل الستار المزركشة المدونة على الأبواب من أثاث غالية وأمتعة فأخذه وقام مودعا بعد ما اعتبق من العطورات ومسح بها اللحية واللباس.

خرج الشيخ بما أضمر، وبما خدم حسن بانو مبكرين بما اشتغلوا طول النهار وبما أصابوا من لغوب وتعب، فما اعتنوا حتى بأقوال أبواب المستودعات ولا بارجاع الأدوات واللوازم إلى مواضعها المأمونة فقد افترشوا من غير نظام وعادوا في مضاجعهم كأنهم جثث هامة وأموات لا حراك فيها فما مضى من الليل إلا قليل وخرج الشيخ من داره فأتبعه في طريقه أتباعه الأربعون كالأسد المفترس الثائر وذئاب جياح قاصدين بيت حسن بانو في ظلامه الليل ولقد صدق من قال: إذا امتحن الدنيا ليب تكشف له، عن «لصوص» في ثياب «شيوخ»، ولج الشيخ فوجدوا أبواب الدار، وأخذوا يهبون من الأموال والأمتعة، وجرحوا بل قتلوا بعض المتهمين من النوم المدافعين. كل ذلك وحسن بانو تنظر إليهم بعيني رأسها من شباك غرفتها، واشتد بها الأسف حيث عرفت الشيخ والأتباع تماما. فلما أصبحت حملت بالمجروحين والذين قتلوا على سرر إلى قصر الملك صارخة تبكي وتتعب بما فوجئت وشدة ما تأملت حتى أبلغ الحرس إلى الملك ما دهاها فأذنت وقالت مائلة بين أيدي الملك بعد ما حيت ودعت للملك عمرا خالدا وعدلا لا يزال:

«بالأس دعوت هذا الدرويش يا جلالة الملك! وأتباعه إلى منزلي،

كضئوف محترمى؁ وأكرمى مشواه بكل اءلال؁ ولكناه ءءل ىقى قبح الله رءه فى ءوف اللل بأأباعه ءءول اللص الشرى القائل فءرح من ءءمى عمالى من زاحم وقل منهم من قل ثم نهب من مالى واستلب من أمتعى ما فوق ثمنها ملائى ءنىهاى؁ قءبى ىءاه وىءا أأباعه الأشرار؁ لما ظلموا عاءزة ملى راعءوا على ءءمى المساكن..

ما أن سمع الملك بءلك ءقى الئب ءضبا وقال ءهل فاءة انى رشءك ىا ءرقاء؁ اءءنونة! إنك فءترى ءلك على من ىزهء فى ءءنا بأءمعها وانه لولى من الأولىاء.. فردى إله قائله ءىا مولائى! لا تظن بءافر مثله ظن الولى؁ فقد وءءه لعن من الشيطان..

لم تكء ءسن بانو تءلفظ بءلك الكلمات إلا ءء انفءار فى بركان ءضب الملك شءىء؁ فصاء بصوى رهىب ءهل هناك من ىرءم هءه الشقىة أمام عىنى ءزاء بما اقءرفت؁ وعبرة للءىن ىفءكرون فى مثل ءلك.

ففءقم ءىئء وزىر صالح الطوىة ولثم العرش وقال ءإن هءه هى بنت برزء لتاءر وءء كانت مءىة لءى ءلالة الملك أيام ءىاته تلاءفها بالشفقة والءنان؁ فلئن ءكمى عليها الوم بالرءم فءلك بما تزول به ثقتانءن العىء بعطف ءلالئك نءو ذرىئنا فما ىأى؁ بل ىقلق كل منا ءشىة أن تلاءق على ىءىك أولاءه ما لاقى فئا برزء؁ فىئقطع عن العمل وىنعزل أولا ثم هو ىفر من العاصمة إذا ما أعدى الظروف فرصة الفرار إلى الءارء؁ ولىس بما لا ىتوقع بعء ءلك كله أن ىنضم إلى صف الأعاءى فىعود ءطرا ىهءء ءولة ءلالة الملك. إن ءلك بما أراه ءقا رأى من واءبى أن أعرض عليك الءق؁ والامر إلك على كل ءال..

قال الملك ءلقد عفىى عنها شفاءة منك أىها المءصر وشرقا لروح برزء



المرحوم، نخب لها أن تترك المدينة ودارها حالا. مطرودة إلى المنفى ولتصادر جنودى كل ما فى منزلها من الثاكد والطارف وتفوضها إلى مستودعات ملكية.. فكان ما أمر به الملك وطردت حسن بانو بمرضعتها فى غابة من الغابات محتارة فى أمرها تتقدم غربا وتتأخر شرقا ثم تعدو جنوبا وتسعى شمالا، نادية، ناجة لا تعلم من الحياة مصيرها. فكرر لها أمها المرصعة معزية إن للدهر مفاجئات وليس لبليلها مهرب، فاصرى على ما أصابك يا عزيزتى! ولو شاء الله وشملت رحمته لتفزع عنك هذه السحابة السوداء.. تاهت حسن بانو بين بطون الأدوية وهامت على وجهها فى صدور القفار حتى تعبت فتحت إلى شجرة ذات ظل، مستريحة وافية نسا لحة الشمس ورمض الرياح. فما إن اتكأت على ظهر الأرض حتى نامت على غير عمد منها بدافع العطش وسيطرة الجوع، وبما أصابت من النصب والتعب.

فأت فى المنام أن شيئا تقيا فى ثوب أبيض يقق بالسبحات فى رقبته والفضا الخضراء فى يده قائما على قبقابه فوق رأسها يقول - بابا! لا نحزن إن الله كريم وليس بعجب أن يرجعك إلى سيرتك الأولى، إن تحت هذه الشجرة ركزت ثروة سبعة ملوك، وقد أخفاها الله لك، فانهض وخذها وألقها فى مآربك واذكر الله ولا تنساه.. فقالت حسن بانو مجيبة أنى يكون لى حفر الأرض يا سيدى وقبض المال وأنا امرأة قاصرة. فأجبت حسبك أن تفحصى الأرض بقطعة خشبة ريثما تنظرين آثار رحمة الله إنه يجعل من أمرك يسرا. تيقظت حسن بانو من نومها بفتة وحكت لمرضعتها كل ما رأت فى المنام، فصدتا إلى أصل الشجرة وحفرتا بعض الحفر إذ وجدتا سبعة آبار تحتها ملائة من الجنيات وصناديق من اللآلى الفاخرة والأحجار الكريمة من بينها الدرة اليتيمة المسادلة جنبها يضة بطة بحرية. خرت حسن بانو ساجدة لله تعالى على هذه

الثروة الموهوبة. وما هي إلا أيام قلائل حتى أجمعت من أمرها، فأناها رجالها وخدمها من المدينة وقد بنت هناك بيتا، ثم أفضت إليهم أنها اعتزمت بناء مدينة عامرة هناك فلتكن فكرتهم شاغلة حول تصميمات قوية وتخطيطات محكمة لتحويل هذا المكان القفر إلى مدينة معمورة تزهر بمبانيها الفخمة وأسواقها المزدانة وشوارعها المستقيمة. فأشار إليها البناء والمهندسون أن تشيد مدينة كهذه وعمارتها من غير أن يأذن الملك أمر غير معقول ورأى لا محمد عقباه.

فقامت حسن بانو وتكرت ابن تاجر ثم ركبت حصانا عربيا قاصدة إلى المدينة في جمع من الراجلين والفرسان وأخذت معها قصعة كبيرة من الدرر واليواقيت، فما إن اجتازت سور المدينة حتى أبلغوا الملك أن تاجرا شابا يتنقى تقبيل العرش يستأذن المثل بين أيدي الملك. فأذن الملك أن يدخل القادم محترما مكرما.

دخلت حسن بانو فسلمت بالتحيات طبق التقاليد الملكية، ثم أهدت قصعة الدرر واليواقيت راجية لطف الملك وعطفه، فقبسط إليه الملك في سرور وحبور وسأله عن أحواله وعما جاء به إليه، وفيما يشتغل. فقالت «إنه ابن تاجر الذي توفي على السفينة وكانت على مقربة من شاطئ مدينة كذا. وقد كنت آتني منذ أمد بعيد أن أزور العتبة هذه فقد فرت اليوم بمنى بسعادة حظي، فكل رجائي بعد ذلك أن أفضى ما بقيت من حياتي تحت الظل الملكي، فاذا سمحني جلالة الملك فقد أردت أن أتخذ من فلاة كذا مكانا أستقر به فأشيد فيها مدينة أسميها شاه آباد». فرح الملك بهذا الاقتراح ووافقه مغتبطا مسرورا، وأمر رجاله أن يرسلوا من البناء والعمال ليقوموا بأعمال التشييد ويشتغلوا أنفسهم في كل ما يعجل تعمير البلد ويكمله. عادت حسن بانو وظلت تختلف إلى الملك لحدث أن حضرت مرة وكان الملك على أهبة الذهاب إلى مرشده فخطبها قائلا:

«هيا بنا تشرف اليوم بمقابلة من هو قطب عصره وغوث زمانه».

• على الراس والعين، إن الحضور عند أمثال هولاء العارفين يبعث البركات فضلا على أن في ذلك مصاحبة جلالة الملك..

قالت ذلك وفي قلبها ما الله به عليم. وعلى كل حال ذهبت إلى منزل الشيخ وتحادثت وسمعت خاضعة رأسها ما أننى عليها الملك من الأوصاف والفضائل وعندما انتهى المجلس إلى وشك الوداع، قامت حسن بانو بكل اجلال وعرضت على الشيخ أن يشرفها في منزلها يوما من الأيام. تبسط الشيخ للدعوة وضرب لها موعدا. وأن لحسن بانو أن تلعب دورها الأول في زى تاجر شاب فطلبت من الملك أن يسمح لها القيام بالمأدبة في منزل برزخ الفارغ، ليسهل عليها العمل كما لا يشق على الشيخ بعد المحل. فأصلحت شأن المنزل المهجور وزينته بالبسط الباعمة والاسنار الانيقة وبكل ما يتقاضاه النسق الجميل حتى استرد مستواه الأول بل فاقه أناثا وربيا.

وفصارى الكلام أن الشيخ المحتال دخل بأتباعه بيت برزخ بالوقت المضروب مرحبا بكل حفاوة وتكريم وبعد أن استقر مكانه من المجلس أسرع الفتى التاجر إليه مقدما بين يديه الهدايا من أنفس الأشياء وأغلاها، فلم يقبل منها شيئا ولم يأكل غير لقيمات معتذرا إن الشبع يمنع العادة ويحول ذون الذكر ليلا. وانصرف هو وأتباعه من المنزل ليهموا عليه ليلا في ظلامتها.

أسلفت حسن بانو إلى رئيس الشرطة بكتاب منها سرا تخبره بما ستقع اليوم في دار برزخ، في منتصف الليل، فليقف برجاله الموقف بالضبط، وأمرت خدماها أن يتركوا الأمتعة والأواني حيث كانت ولا يلبوا شعنها، ولكن يأخذوا حذرهم ويقعدوا للهاجمين كل مرصد. فكشوا غير بعيد حتى جن عليهم الليل فأقبل الشيخ المحتال بأذنا به الإشرار، واكتسح الدار وجعل ينشل الأشياء من هنا وهنا وينهب، ثم شد كل منهم رزمة حمل على رأسه أو على عاتقه، وما كادوا يخرجون

حتى فاجاهم على الباب رجال الشرطة وخدم الدار. فأطلقوا عليهم القبض بين صرخات عالية وصيحات حادة واثقين أكتافهم وجعلوا رزمة كل واحد منهم في عنقه. وابتهجت حسن بانو وأى ابتهاج عندما رأتهم أسارى مقبوضين في أيدي الشرطة، وراحت هادئة البال تمتد فراشها نائمة نوم فرح طروب حتى الصباح.

وفي اليوم الثاني حضر بطانة الملك أعيان دولته وجلس الملك على عرش الحكم وسأل حاشيته عن مصدر الصرخات بالبارحة في جوف الليل بينما طلع رئيس الشرطة ومثل بين أيدي الملك وأخبر أن عصاة من اللصوص هجمت على بيت برزخ المعلوم في منتصف الليل وسرعان ما علمت، وقعت عليهم برجالى كالبرق الخاطف وها قد قدهم تحت حراستى.

وإذا بالفقى التاجر دخل البلاط والتفت الملك نحوه سائلا عما نزل به ليلا فقال: «لو لا رئيس شرطتك هذا يا مولائى لهبوا دارى وقتلوا نفسى». فاستشاط الملك غضبا وأمر الرئيس عرض المقبوضين عليهم بين أيديه حتى يراهم بعينى رأسه وعندما عرف الشيخ مرشده وأتباعه هم اللصوص، هاج وماج وأمر باعدامهم شنقا على فوره وما هى إلا دقائق حتى نفذ الأمر وشنقوا. وعندئذ قام الفقى من مجلسه وأماط اللثام عن وجه الحقيقة أمام الملك وقال:

«إن الفقى التاجر إنما هى بنت برزخ التى أنفيتها لأجل هذا المرشد المحتال الذى حمل كل ثروة أبى إلى داره تلك الليلة التى دعوته إلى مأدبى فى يومها، فأتى حفرت منزله لتجد فى أنفاقه أموالى وكل أمتعى ولتعلم صدق ما أقول».

فقدم الملك على ما ابتدر منه وأمر بحفر دار الشيخ فاذا وجدوا فيها من نقاس برزخ كل نفيس ومن أمتعته الفاخرة كل متاع، فأهدت حسن بانو كل ذلك إلى الملك وقالت: «أرجو من صميم فوادى أن تقبل منى هذه ورجائى فوق ذلك أن تشرفنى فى منزلى يوما فأقدم لجلالتك كل ما أملك وأبين لك بعض ما يتصل بى».

خرج الملك بمجنوده وأعيانه قاصدا مدينة « شاه آباد » ليقابل حسن بانو على موعد منها فلما اقتربا استقبلته برجالها ورحبت ثم أنت به قصرها وأجلسته على عرش ملكي وقدمت له أثمن ما عندها من المرصعات الذهبية ومن الطواويس المصنوعة من الأحجار الكريمة. ثم أرته الآبار السبعة المختزنة بالذهب الأحمر الخالص ملتمة أن يأمر رجاله بحمل كل ما فيها على عربات الدولة. فأسرع الوزراء بالعمال والخدمين بأمر الملك إلى حافات الآبار، وما أن بسطوا إليها أيديهم ليخرجوا منها، حتى اندفعوا إلى الورا. مذعورين، كأنهم كادوا يمسكون بشولات العقارب وفوهات الثعابين، فتولوا على وجل مدبرين، وأبلغوا بذلك الملك فاندفع هو وامتنع لون حسن بانو ولكن أسلاها الملك وعزاها وقال « لعل الله كتبها لك واختصك بها دون أحد، فلا تحزنى ولا تقلقى بالك ». فبدأت وأبتهجت وقالت « إذن سأقبحها في سبيل الله ابتغاء مرضاته ». فوافقها الملك ثم ودعها قاصدا إلى عاصمته.

وأما حسن بانو فشادت بعد ذلك ببناء نفخيا للمسافرين وأباحته لهم أن ينزلوه كضيوف مرحبين مكرمين، لهم فيه ما يشاؤون وإلى ما يشاؤون. فأصدرت من أوامرها إلى الخدم والموظفين أن لا يتورعوا في اراحة النازلين به وتوفير أسباب القرى لهم وأن لا ييخلوا أبدا بتقديم الزاد ومصاريف السفر.

فطارت بذلك صيت حسن بانو وذاعت، وروت بفضلها وفعالها روحيات الرحالة وغدوات المسافرين في انديات الشعب وفي مراكز تجارية بين أقاصي البلاد وأدانيها حتى اجتازت تغور أرض خوارزم وكان يحكمها ملك شديد الحول، وكان له ولد في مقتبل الشباب في الرابع عشر من عمره موهوب من الله آية الحسن ونعمة الجمال، يدعى « منير الشامي »، فلب الهوى به عندما وصفوا أمامه أن هناك مدينة جديدة شادتها حسن بانو الفتاة الحسنة جدة وبنت فيها سراى (مسافر خانة) وأنها فوق ذلك كله كريمة إلى أبعد حدود الكرم. فازداد شغفا بها غيابا إلى

أن أرسل رسامه ليحضر له رسمها مهما كلفه ذلك .

فالقصة بما فيها أن الرسام أتاه برسمها وقدمه بين يديه فلما رآه منير عشق به ولم يتمالك إلا أن خرج من قصره وحيدا في منتصف الليل خروج معدم بائس، قاصدا مدينة شاه آباد، قزل بها بعد ما تحمل من الوعوث والوعور في ضربه الأرض ما يحل عن الوصف والتقدير. وأصبح فيها وأمسى دون طعام وكلام فأخبروا حسن بانو عن هذا الغريب الذي لا يأكل ولا يتكلم ولا يقبل شيئا من العطايا. فدعته عندها وسألته عما نزل به وعما دعاه إلى رفض عطايا السراي قائلة :

« ما لك لا تأكل ولا تتكلم ولا ترضى بالعطايا التي سوف تساعدك فيما تستقبل ؟ »

« إنني لا يعوزني مال ولا نقود فأنا نجمل ملك خوارزم أملك من المال ما يغني . »  
« إذن ما هي حياتك حياة الفقراء والمساكين ؟ »

« إن رؤيتي رسمك مرة، غيرت في شأني كل شيء، وفعلت بي ما يفعل الجنون بصاحبه فقد أخرجتني من قصرى وجعلتني أستف من ترب الأرض في الأودية والقفار حتى حملتني إليك وما لى من قرار. فرجماك يا سلوى، يا بلسمى لجراحتي فليس لدائي غير وصالك من دواء. وإني في صراحتي هذه لصميم، صادق والأمر إليك فاحكمي بما تشائين . »

« عد إلى وعيك يا فتى ! ودع عنك ما يشغل به بالك، فانك لو تحولت هباء تطير مع الرياح لما استطعت الوصول إلى قلامات أظفارى فضلا أن ترى وجهي . إلا أن تجيب على أسئلتى السبعة . »

« إذن سأموت على بابك . »

« الموت أهون من أن تراني . »

« وما هي أسئلتك يا كبة آمالي .. »

« إنها سبعة وأولها : شاهدته مرة وآمنى أن أراه أخرى .. »

فاحتار منير في الإجابة وحاول اقناعها بهيامه بها ولكن المداولات بين الحب والجمال انتهت إلى فشل منير في ما أراد وإلى وعده أن يجيب على الاقتراح في بحر عام واحد . فودعها ومضى لسيله وتحت إبطه صورة حسن بانو المرسومة .

غادر منير مدينة شاه آباد إلى المجاهل وجمل يطوف السهول والشعاب وراه منشوده كتطواف الأعراس في الصحارى والقفار ، فكم صعد قمم الجبال عبثا وكم عاد إلى سفوحها صفر اليدين ثم حدث أن رمته يد الاستطلاع إلى ناحية من نواحي ثغور يمن وجلس تحت شجرة من إحدى غاباتها ينتحب ويعول ويصرخ صرخات يضج لها الجو وتكاد القلوب تنفطر بها .

وصادف أن انتهى إلى تلك الناحية حاتم وهو في جولة اصطيدادية يومئذ ، فسمع صرخات البكاء . ورق لها واضطرب أشد الاضطراب وأرسل حالا ورائها الرجال وعلم منهم أن هناك على مقربة منه فتى في غاية الجمال جالس تحت شجرة يبكي فلا يفتح عينه ولا يرد لأحد كلمة ، فاقتربه عطفا عليه نازلا من صهوة جواده . « قاتلا ما خطبك يا فتى وما يبكيك .. » فرفع الفتى رأسه ووجد أمام عينه شابا نبيلا في زى الملوك ، عليه ملامح الشرف وشارات الوقار ، يسئل عن أحواله راقية به . فقال :

« يا أخى لا تسئل عني ولا عن مصابي فقد بلغ السيل زباه ، ويا لشقائي وتلعاسي ، فليس لي من أشكو إليه بشي وحزني .. »

فأجابه حاتم : « هون عليك فؤك يا فتى وأمسك ، فقد أخذت على نفسي ، وعاهدت الله أن أقضى حياتي في عون عباده ما استطعت مذلا لهم كل العقبات

والصعاب، فسأقوم بموتك جهد المستطاع. فان أعوزك المال فعندي من الأموال قدر ما تشاء ولك حالا ما تريد، وإن ظلمك عدو لدود، فدلني عليه حتى أقتله أو يقتلني، وإن أنت أردت حبيبة تمنّاها فأسع لك وأدبر حتى تسعد بالاقتران بها..

هدأ بذلك روع منير وابتهج ودعى لحاتم كل توفيق وسلامة الحياة، ثم قدم بين يديه من تحت إبطه رسم حسن بانو وقال: «هذه هي الصاعقة التي أحرقت مني التجلد والاصطبار يا عوني! وجعلت أعماق نفسي تهمس آنا الليل وأطراف النهار.

لعمريك لا أسلو هواها هـ ولو طحنت محبتها عظامي..»

نظر حاتم إلى الرسم وقال: «الحق معك يا منير! ثم ذهب به إلى قصره في يمن وأصلح من شأنه وجدد له الثياب حتى أصبح في طوره الأولى هينة وهنداما. وحدث بعد ذلك أن جمع حاتم أعيان دولته، وقال لهم إنه يقصد إلى شاه آباد لبعض ما سنع له، فليكن كل التقاليد من إطعام المساكين وكسوة العراة والاحتفاء بالضيوف والنزلاء وتوزيع المعونات إلى العجزة والصعاليك معمولة بها في منتهى الدقة وأقصى الاعتناء أيام غيابي عنكم، وإياكم ثم إياكم أن يقعد بكم أي إهمال في أن تقوموا بواجباتكم اليومية نحو حاجيات الفقراء والمنكوبين.

قال ذلك وخرج من قصره وخرج معه منير قاصدين إلى مدينة حسن بانو التي رحبت بهما الدار. وقصارى الكلام أن حاتم قابل حسن بانو وكلها وهي كانت تجيبه من وراء الحجاب. وانهى الحوار إلى أن على حاتم أن يأتي بالرد على الأسئلة السبعة، وعلى حسن بانو أن تهب نفسها له ليفوض أمرها إلى من يشاء. فودعها حاتم راجيا أن يكون صديقه منير مكرما لديها كضيف محترم حتى يعود هو.



## ﴿ الاقتراح الأول ﴾

خرج حاتم من قصر حسن بنو ومشي في طريقه لا يعلم المصير، وكان يناجي نفسه أن المرمى غير معلوم، وأن السبل يجهلها كل الجهل، فلعل الله يجعل له من أمره يسرا فقد كلف نفسه ابتغا مرضاه. ما لبثت تناجيه نفسه بتلك الجواطر حتى رأى أمامه ذئبا يكاد يخطف غزالا طعما لنهمه، فصرخ حاتم صرخة هائلة بصوت رهيب: « حذار من الوثوب عليها وإياك من الفتك بها »، فحمد الذئب مكانه وقال: « لعلك حاتم لرحمتك هذه على الغزال، ولكن أليس بين جنيدك ما يرق لحالي ويرحم على ما أطوى وأكابد من ألم الجوع؟ » فقال حاتم: « وماذا تنفى؟ » قال: « مضغة لحم ليس إلا ».

فقطع حاتم على هورده قطعة لحم من عجزه ورمى بها إليه. فشبع بها الذئب ثم سأله تقديراً لمطائه: « وما دهاك يا حاتم! حتى هجرت يمن جنة النعيم وآثرت أرضا مسبة كهذه بأهوالها؟ » فأخبره عما حدث له وعن فحصه الاقتراح الأول من أسئلة حسن بنو السبعة لصديق له المغرم بها.

هال الذئب: « أنا أعلم صحراء هويدا مكانك المنشود وستسمع إذا دخلته أنت الصوت نفسه، وإنك إذا مشيت قليلا قدامك فتواجه ملتي سيلين من اليمين ومن الشمال، فاختر لك منها ما يذهب بك إلى اليمين، إنه يبلغك إلى المحل المطلوب ».

فاتبه حاتم نحو الأمام ومشي خطوات إلا أنه لم يستطع مواصلة السير لتألمه الشديد بما أصاب من الجراحة في عجزه، فوقع صريعا تحت شجرة يتملبل قلقا بالآلم يتوكأ على شق مرة ويسند أخرى إلى شق آخر. وكان على مقربة من الشجرة ماوى زوجين من ابن آوى. وقد خرجا إلى بعض الزوايا قبل أن يطلع عليهما حاتم للفحص عما يملأن به فراغ الجوع. فلما فرغا من الأكل عادا.

فوجدوا إنسيا يتأوه ويتألم، تخافت الأنثى وحضت على زوجها أن يهجر المأوى، ويهرب إلى جهة أخرى، فما للانس من الوحش. ولكن الزوج أخبرها بأساطير الغابرين وقال: «إني على علم بأن الصريع هذا، هو حاتم». ثم دار بينهما الحديث عن بني آدم أشرف المخلوقات وأكرمها، وانتهى إلى أن عزم الزوجان على اسعاف حاتم.

فذهب الزوج إلى صحارى «مازندران» ليأتى بمنح «بريرو» طير تشبه بنيتة بنية طاؤس بالتام، ورأسه كرأس البشر عينا. وبقيت الزوجة على رأس الجريح تراقبه وتحرسه أن يصيب به أى مكروه. فعاد ابن آوى بعد أسبوع كامل بالمنح بلسما لجراحة حاتم، وقد تحمل في ضرب الأرض من الشدائد والأخطار ما تحمل. ثم وضعه على جراحة حاتم، فتعافى حالا وأصبح لا يشكو ألما ولا وجعا، فشكر لها على ما أسديا إليه من الجليل وأقذاه من مخالب الموت. واتمس الزوجان بعد ذلك إلى حاتم أن هناك في جوارهما الضباع يأكلن صفارهما كل عام، فيا حبذا لو يدبر حيلة تجعل ذريتهما في مأمن من الفتك والموت. فقام حاتم فعلا وذهب إليهن ينصحن فلم يكثرن بحاتم وما أراد، فزاد نصحا فزدن طغيانا. فعز ذلك عليه واشتد غضبا حتى كاد أن يذهب بحياتهن، ولكنه عفى عنهن فخلع منهن الأسنان وكنى جزاء بما عصين متمرعات. فشكر ابن آوى وشكرت زوجته لحاتم صنيعته، وعندما قام حاتم ليواصل سيره اقترح الزوج أن يرافقه في سفره وأصر عليه، ولكن أبى حاتم إلا أن يطوى المسافة وحيدا. فودعه شاكرا في مأواه.

ومضى لشانه في سبيله حتى بلغ ملتقى السبل من أربعة نواحيها، فوقف مختارا في الاختاء ريثما اقتربن الأدباب من كل حذب. وكانت الأرض أرض ملكة الدب. فأخذن يده وذهبن به إلى ملكهم الدب الأكبر الذى اهتز عرشا حين

رأى حاتم، ورحب بكل خفاوة وابتهاج. والتبس بعد ذلك إليه أن يقبل ابنته كزوجة له. فأبى حاتم وأنكر منه ذلك بداية الأمر ورفض أن يذعن، لما بين الإنسان والحيوان من فارق، ولما كان يرى في ذلك عثرة في سبيله تشغله عن الوصول إلى غايته. ولكنه حبر عقابا على رفضه طلب الملك وألقى في بئر غطوه بجلود كبير. فرأى في منامه في حبه أن شيخا صالحا يشير إليه أن نجاحه في زواجه. فرضى وتزوج وراح يعيش مع زوجته الدب عيشة السعادة والهناء، متمتعاً بملذات الحياة ومسراتها. ثم أفضى إلى زوجته يوما من الأيام بدخائل صدره ومكونات فواده واستأذنها على أن يعود إليها في طريقه راجعا، فأذنته راضية، وحرصا على سلامته جعلت في عمامته خرزا يقيه من الطواري في أخرج الموافق، ثم ودعته إلى اللقاء.

خرج حاتم من مملكة الدب واستأف سيره، فشى أياما وليالي حتى دخل قاعا صفصفا رمليا لا ترى فيها ظلا يأوى إليه أحد، ولا ماء يشربه شارب. ولا حبة يأكلها طاعم. ولكنه ما زال ماشيا، فكان يسبح له كلما يغدو رجل مبرقع يقدم بين يديه رغيفين وكأسا من الماء. وكذلك عندما يمسي. وحدث أن صادفته في سبيله يوما حبة ضخمة كالجبل. فشعر حاتم رغم كل مجهود منه كأنه يدفعه إليها أحد، كما تدفع الرياح العاصفة أوراق الأشجار عندما تسقط على الأرض. وما هي إلا بضع دقائق حتى دخل حاتم بعمامة جوف التين. ولكنها أصبحت تئن وترن بما ابتلعت، وأدركت أن المأكول ليس ميسور الهضم كما كان حين الابتلاع. فما وسعها إلا أن قالت بعد ثلاثة أيام عندما أعياها التعب وبلغ بها الجهد.

خرج حاتم من بطنها سالما بفضل الخرز الذي وضعت زوجته بقت ملك  
الأمم في عملته عند الوداع. وعاد يمشي في طريقه أياما إلى أن انتهى إلى

غدير. فجعل يفصل ثيابه جالسا على حافته. وإذا بسمكة خرجت من الماء، وكان صفها الأسفل بشريا. وأخذت يد حاتم وذهبت به إلى منزلها البديع داخل الماء، ثم تحولت إنسيا وبدأت تلاطف حاتم وتداعبه ثملة بالرجبات الجنسية. لكن أخبرها حاتم بما ورائه وأبى النزول عند رغبتها إلا أن تعد أنها ترده إلى حيث أنت به بعد بضعة أيام. ففعلت ثم قضى حاتم معها ثلاثة أيام في رغد ن العيش.

وخرج بعد ذلك من الماء وواصل السير عدة أسابيع، حتى صعد ربوة رجة حفت بالأشجار الباسقات ذات ظلال وأثمار، واكتفت بالقصور الفخيمة والمباني الجميلة التي تجرى من تحتها الأنهار. دخلها حاتم وكان تعباً، فما أن استلقى الأرض لخضراء وفراشها الناعم الناضر حتى أدركه المنام. وعندما استيقظ من نومه وجد عنده رجلا وقورا يسئل عنه وعما جاء به إلى هنا. فقال حاتم: إنه يقصد بحراء هويداء. فحذره أن يفعل ويواصل سيره. ولكن اعتذر حاتم ثم قص عليه القصة بما فيها. فقال الرجل: لك ما تريد، ولتعلم أنك إذا بلغت ثغورها ذهبون بك إلى بحر الظلمات، فحذار من الالتفات إلى صوت أو صورة أو اقوف عند شبك أو باب، وإياك أن تميل إلى غادة حسناء عندما تقف أمامك بهاها الساحر. فإذا مددت إليها يدك لتمسكها أو هي أمسكتك بيدها فتلك هي بحراء هويداء.

فقام حاتم شاكرا له على وصاياه ومضى لسيله، حتى ورد بعد ثمانية أيام إلى بديعة البناء، متقنة الصنع، في جو لطيف. فجلس يعترف منها. وإذا امرأة عاربة برزت من الماء وأمسكت يدها ذراع حاتم وغاصت به قعر الماء حيث وجد نفسه في روضة أقب بين مئات من الفتيات الجميلات الرافلات تكاخرن. فمأبى أن من إليه. ولكن تذكر حاتم نصيح الرجل.

بين وظل صامتا لا يعتمد إلى تبسط ولا طلب. فقدن إياه إلى قاعة القصر وكانت مؤتة بألحز الرباش. منسقة بأهوى الزينات، بتوسطها سرير مرصع من أئمن البواقيت وأعجب اللآلى. فلما اقتربه حاتم، التصقن بجدران القاعة بأنفسهن كأنهن تماثيل أو تصاور نحتت أو رسمت على صفحات الصروح. ثم اتبع ذلك أن برزت ألوف منهن من زوايا القصر بقتة. فاندھش حاتم لما شاهد من عجائب وغرائب.

وما أن جلس حاتم على السرير حتى تحركت أجذبهن جمالا من الجدار وتقدمت بخطواتها نحوه، ثم وقفت بين يديه، فشعر حاتم بجملها الجذاب أنه سيققد رشه ويذهب ضحية التيار العاطفي. ولكنه تذكر تنبيه الرجل أخرى، فامتنع وظل يرتقب حتى ثلاثة أيام أن تبسط إليه يدها، ولكنها لم تفعل. وكان عندما يقبل الليل يرى حاتم أن القاعة العالية وغرفها الأخرى تنور بأنفسها بالشموع من الكافور، فيسمع منها الترانيم والنغمات من الأغاني والتوقيعات، ويهصر بعيني رأسه أن تصاور الجدران تحولت ذات أرواح تتحرك، ترفل وترقص الرقصات، وأن الواقعة بين يديه ترو إليه وتبسم دون انقطاع.

فدار برأس حاتم أن صديقه منير يذوق مرارة الصبر وعذاب الانتظار في شاه آباد، وأنا أمتنع هنا بهذه النعم، فما هي مسئولتي عند الله وعند صديقي، فلي أن أسك الواقعة هذه. ففعل، وإذا بامرأة أخرى برزت من تحت السرير وضربت حاتم برجلها. فاذا الجو تبدل غير الجو. وأصبح لا يرى غير القفر الشاسع الهادى، فلا القصر الجميل البهى، ولا الروضة الأنيفة الخضراء، ولا الغايات الفاتنات. فاحتر حاتم مليا وهام على وجهه، ثم اتبه وأدرك أن ضالته المشوذة هي هذه، وأنه الآن في صحراء هويذا التي يتادى فيها مناد رأيتة مرة وأئمن أن أراه أخرى. وإذا به يسمع النداء نفسه. فأسرع وراثها في ناحية.

فرأى درويشا بلحيته البيضاء جالسا . فقدم إليه بتحية . فقال الدرويش  
« من أنت وما مجيئك إلى هنا ؟ » فرد حاتم « والله خرجت من مدينتي ألخص  
عنك وعن رؤيتك التي تمنناها أخرى . » فقال « مهلا يا ضيفي ! فأحكى لك ما  
حدث لي . » فلما فرغا من العشاء قال الدرويش إنه « وردت ذات يوم بركة  
بديعة في إحدى نزهااتي ، فجلست حافها أتفرج ، وإذا بامرأة مجردة عن الثياب  
من رأسها إلى أخمص قدميها ، برزت من الماء وأخذت بي إلى قاع الماء . » ثم  
أسرد كل ما مر على حاتم نفسه وقال : « منذ ذاك اليوم أقيم على وجهي في هذا  
المكان القفر ولا يقربني القرار . » وصرخ صرخة هائلة « شاهدته مرة وأتمنى أن  
أراه أخرى . »

فقال حاتم إنني سوف أرسلك إلى ذاك المحل وأبلغك أميكتك أيها البائس !  
فلا تفزع ولا تحزن . » فأتى به إلى تلك البركة وأوصاه أن لن يمد يده إلى  
الحسناء الواقفة أمامه عند ما يستقر على السرير . ثم ودعه بسلام ، وعاد إلى  
شاه آباد عند حسن بانو بعد ما زار كل أصدقائه وزوجته بنت ملك الدب ، وعائق  
صديقه منير معانقة حادة مغمورة بالسرور والحبور . وطلب إلى حسن بانو أن  
يقدم له اقتراحه الثاني .  
( لها بقية )



# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

العدد الثالث

سبتمبر سنة ١٩٥٥

المجلد السادس

محتويات هذا العدد

منه

الموضوع

## حاتم الطائي في الهند

تعريب الأستاذ عبد الحميد النعماني

﴿ رجل الصدق لا يزال في حياته مرتاحا ﴾

قالت حسن بانو إن المسئلة الرابعة يا حاتم هي أن تخبرني بالذي كتب على ب داره أن «رجل الصدق لا يزال في حياته مرتاحا». فن هو هذا الكاتب ما هو صدقه وهنائه في حياته؟

فقام حاتم وخرج من عندها قاصدا إلى الغابات وراء سور المدينة، ومضى شى أيا ما وليالى إلى أن وصل سفحا من الجبل، وهناك رأى أمام عينيه را إحمرا مائه دما، وكان يجرى ويتلاطم موجا، فاحتار حيث لم ير في حياته را حمرا الماء فصمم على أن يعلم من البحر مصدره، واتجه نحو مجراه وتقدم، ما لبث أن واجه دوحة باسقة ملتفة منشعبة. فلما اقترب منها واستظل، رأى كل غصن من الشجر عالق به رأس بشرى، وأن تحت الشجرة بركة جميلة منع متقنة العمل، يفيض منها الماء ويسيل إلى ضفة الوادى، وما إن اقتعد نب الشجرة حتى ضحكك تلك الرؤس المعلقة بالفصوص المتساقطة منها قطرات م. وزاد حاتم عجبا وغرابة أن الرؤس تضحك وهي مقطوعة وأنها تتقاطر ما وتجعل البركة تنهمر ماء ودماء. ولم يكن يتهى من غرابة المنظر وبغته العجب رأى رأسا جميلا بارزا يفوق الرؤس كلها، وقد فقد لمنظره الرائع رشده. ما عاد إليه صوابه وهدأ من روعه، أبى أن يبرح مكانه حتى يعلم سر ما طار إليه وأدهشه منظره. وما هى إلا سويقات حتى أقبل الليل وأسدل بظلمته على نيا السار. واعتزل حاتم من الدوحة ناحية وتورى وظل مرتقبا حتى رأى



تلك الرؤس العالقة تتساقط من الأغصان لجأة فوق الماء.

ثم أتى نظرة إلى البركة فإذا فيها أريكة فاخرة فرشت بالبسط الناعمة الملكية وإذا بالآريكة كواعب من الجنيات برزن، واتكات واحدة منهن على الآريكة بالكبرياء. وكانت أحسن جمالا وأخضر من ثيابا. ففطن حاتم بعد ما أمعن من نظراته إليهن أن الجلاسة هي صاحبة ذاك الرأس العالى العالق فوق الرؤس. واتباع ذلك أن ظهرت من القائنات الغائيات، منهن من جلسن على المقاعد المجاورة ومنهن من مثلن بدينها كالحاديات. وإذا منهن بالراقصات الراقصات والمغنيات أحنن بالرقص وبالأغاني. وما زلن حتى انتصف الليل. فانقلبت السهرة الغنائية مادة فاحرة فدت المائدة الملكية بالأطعمة الشبيهة بألوانها، ثم أمرت الأميرة خادمتها بمائدة إلى الغريب المتوارى بجانب الشجرة فأنت بها تحمله وقالت هذا ما أعمت به عليك أميرتنا.

فقال حاتم وما اسمك وما اسم الأميرة، فردت، لا داعي أن تعلم غنى اسمي وعن أميرتي اسمها، لك أن تأكل من المائدة ما ترغب فيه وتشاء. إن أعوزك الضوى. فقال حاتم ما أنا بطاعم منها حتى تجيبين طلبي، فانصرفت الخادمة وأخبرت أميرتها بما حدث. فقالت اذهبي إليه وقولي أن يأكل من المائدة وإني سأحدث له ذكر ما يريد. فأكل حاتم وعادت الخادمة أدراجها واعدة إياه أن تجيب طلبه أميرتها غدا. فبات حاتم ممتعا بالرقص وبالأغاني متواصلا نظراته إلى الأميرة الجارحة فواده حتى الصباح. وما أن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى رآهن رمين بأنفسهن إلى الماء. وعما قليل طفت منهن الرؤس على سطح الماء ثم وثب كل رأس فوق غصن وعلق بأحرف الأغصان كالملتاد. وعلا ذاك الرأس البارز فوق الرؤس. واتباع ذلك أن ضحك الرؤس بصوت عال. كل ذلك وحاتم في عجب يكاد يذهل عن رشده من غرابة ما كان يرى.

طوى النهار رداؤه ورفرف الليل جناح الأصيل، ولم يستطع حاتم اقناع نفسه عن أن تذهب بها الظنون من السحر والطلاسم، ومن أن تسائله نفسه عن المناظر المدهشة ما هي وعن المفاجئات الطارئة ما مصدرها، حتى وقف من نفسه موقف البارحة، فتساقطت الرؤس وبرز المتكأ بالأريكة الملكية المفروشة بأخضر البسط، المنسقة بالمقاعد المرصعة على وجه الماء. ثم أقبلت الأميرة الحسناء بصواحبها الجنيات، فكان الرقص وكان الغناء إلى أن انتصف الليل وبسطت المائدة. فأرسلت الأميرة خادمتها بمائدة إلى حاتم، وما كادت تقربه حتى استبق حاتم قائلا: إن لك أن تني بما وعدت بالأمس. فأجابت ستعلم يا فتى سر ما تريد معرفته عندما تحضر أمام سيدتنا، فلا تعجل، وكل من المائدة هنيئا واتبع خطواتي. فأكل حتى شبع واقتفى إثرها.

ففاصت الخادمة في الماء وغاص هو مطبقا عينيه ورائها واستقرت قدماه الأرض، ففتح عينيه فلم ير من تلك الشجرة أثرا ولا من تلك البركة الجميلة شبحا، ووجدته وحيدا يضرب في الفياق ويهيم في الواحات والمضلات من هذه المفاجئة المريعة. وظل تائها فيها بين الأهوال والأخطار سبعة أيام متواليات إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى إليه الخواجه خضر في صورة شيخ وقور في حلة بيضاء وفي يده العصا، لينصره ويأخذ يده. فلما رآه حاتم أكثر من عبراته وزفراته، فرق الشيخ لحاله ومسح بيده وجهه وإذا قد تحول إلى طوره حالا وسئله على وجل أية أرض هذه يا شيخ! ومن الذي أتى بي إلى هنا؟ فقال إن الأرض «أرض الخبر». والذي بعث بك إلى هنا هي البركة المسحورة التي غصت فيها مطبقا عينيك إثر الجنية الفلانية، فهي معمولة بالسحر، وأن الغاطس فيها يصل إلى هذا المكان النائي عنها ثلثمائة فرسخ.

فخلق حاتم بما سمع وخبر واستصرخ وبكى وقال ما تنوادي لا يقره قراره.

وما أشد كلنى بالأميرة الحناء، ليت شرى سيلا إلى تلك القاتنة. يا عوى  
يا ناصرى! فلا أستطيع أن أعيش ولا أراها بجاني. فقال الشيخ إذن ماذا  
تريد؟ قال كل رجائي أن أكون حيث كنت. قال نخذ بيدك عصا واغضض  
عينك. فصل فاذا هو تحت الشجرة نصبا أمام البركة عينها، وإذا الرأس رآها  
بالأغصان عاتقات تقطر رذاذات الدماء. فما استقر مكانه حتى أسرع إلى الشجرة  
مشدوها وحاول أن يصعدا ولكنها عادت تهتز هزة كادت ترمى به فالتصق  
بساقي رفته والشجرة في زلزال شديد. فلم يحتفل بما حدث وواصل جده، فاذا  
صوت كصاعقة شق الشجر شطرين وأدخل منه خاصرته بين جوف الساق، فراحه  
ذلك. وكان كلما أراد أن يملو فيخرج من مأزقه، رُد بدافع إلى أسفله رويدا  
رويدا. فما بقيت منه إلا عيونه وما هي إلا لحظات حتى طلع الشيخ بعصاه  
وقال يا قى! لعلك سئمت الحياة.

ولكن بنى حاتم صامنا واجما لا يتحرك ولا يتكلم، فعطف الشيخ عليه  
وضرب بعصاه الشجرة فأصبحت كالشمعة ناعمة لينة فخرج منه وقد نال منه الجهد.  
فسأله الشيخ عن تهالكه هذا ولجأه وراء المخاطر والموبقات. فقال إني عزمت  
على أن أعرف ما وسقى عزمى سرما أرى هناك من المدهشات ليلا ونهارا.  
فقال الشيخ إذا كان لا بد من ذلك فاعلم أن هذا المكان يدعى بالجبل الأحمر  
وأن الرأس الذى يفوق الرأس ويعلوها هو رأس بنت «أحمر» الساحر الذى  
يسكن الجبل المسحور على بعد ثلاثمائة فرسخ من هنا. وكان أن فاتحت تلك البنت  
يوما أباهما بمحدث الزواج، فغضب واغتاظ وألقاها فى اليم المسحور قمة ونكالا،  
فالبركة البديعة هذه، وهذه الشجرة الملتفة ككاهما ذواتا سحر، والبنت هى ملكة  
اسمها «ذات الزى الذهبى»، ولا سبيل إليها ما دام أبوها على قيد الحياة. فقال  
حاتم إذن نزلت أرضا أموت بها على كل حال. فنصح الشيخ وبالع في نصحه

ولكن أبي حاتم إلا أن يهدف عما أراد. وقال الموت أهون عندي سيدي،  
فلست أبالي بالذي ينزل بي:

نقل الجبال الرواسي عن أماكنها أخف من رد قلبي حين ينصرف  
فقال الشيخ فما يسرك إذن أيها البائس الحزين؟ فقال منتهى أملى أن أتسلق  
الشجرة فأقترب الرأس وأحاديثها. فضرب الشيخ عصاه بالشجرة وتلا بالاسم  
الاعظم وقال له أن يفعل ما يريد واختفى. فصعد حاتم على الشجرة وما إن  
جاور الرأس الفائق، رأس الملكة ذات الزى الذهبي حتى علق رأسه بطرف غصن  
وسقط منه جسده على الماء وغاص قعر البركة، فضجت بذلك الأرض وصاحت  
السماء. وما هي إلا أن غربت الشمس وأقبل الليل. فكان من تساقط الرأس  
واتصالها بأجسادها ومن نصب الأريكة الملكية على الماء ومن السهرة الغنائية ومن  
المأدبة، كالجدول الموقت المرسوم للأعمال حتى انفلق الصباح.

وظل رأس حاتم في وثوب وسقوط كل يوم وليلة وأصبح كأنه أحد منهم  
إلى أن برز الشيخ يوما بغتة فرأى رأس حاتم عالقا بين الرأس. فأنزله بعصاه  
من طرف الغصن وأخرج جسده من الماء ثم قرأ الاسم الاعظم حتى سرى إلى  
عروقه دبيب الحياة وذهب عنه السحر. ولما عاد إليه الصواب وفتح عينيه  
وجد الشيخ بين يديه فالتقى بنفسه على قدميه مسترحا متضرعا. فرق لحاله وقال  
إنك لن تستطيع أن تفوز بها إلا أن تقتل أباه. ولا يتاح لك ذلك دون  
أن تدعن لما أوصيك به. فقال سمعا وطاعة يا مولاي! فلا أعصى لك أمرا.

فقال ها أنا أعلك الاسم الاعظم، فكن على حذر من الكذب ومن العبث،  
واقض نهارك صائما، واغتسل كل يوم، وإياك أن تبقى جنبا. الآن لك أن تذهب  
إلى الجبل الأحمر ولئن لم تعرف مكانه فاعض عينيك وأمسك بيدك عصا،  
فأت أمام الجبل فلا. وجملة القول يصل حاتم إلى سفح الجبل فيحارب الساحر

أحمر، حرباً شمواء ويصانق أنواع العقبات وأكبر الحواجز والوعور في سبيل الوصول إلى مراده، يهجم عليه الساحر بأعنف وأشد ما يتخيله المتخيلون من أهوال سحرية، ويخوفه بأفزع ما تعتري به قشعريرة من القدم إلى الرأس على يد الأجنة والمقاربت، هياكل الروح وجبال الذعر، فيخيل إلى حاتم تارة أن الحال ما فيها تدور به وأنها ستدك عليه دكة تجعله ذرات من التراب، ويرى أخرى كأنه بين الأصفياء وبين الثعابين تكاد تنهشه نهشات تذهب بالحياة، ثم لا يلبث أن يبرأى له أن الأعاصير تصرصرها العاتية آتية إليه لتطير به كالورق اليابس أو كالعنق المفقوش وما هي غير ساعات قصيرة حتى يظهر له بقعة أن السماء تنظر عليه حجارة أو ترسل إليه من النار الموقدة لهيباً، ولكن ما فني حاتم دافعاً كل ذلك عن نفسه غير هباب ولا وجل، وظل يغالب المفاجئات، ويطارده المردة من الأجنة والمقاربت، ويبتل ما عملوا بفضل عملية الاسم الأعظم إلى أن قتل أحمر وقتل معلمه الكبير في السحر، كميلاق، وعاد إلى الشجرة المسحورة فوجدها باضرة مخضرة ووجد مكان البركة قصراً فخماً فتقدم إلى بابه، وما أن اجتاز العتبة حتى هرولت إليه الخادومات، وأخبرن الملاكه بالقدام فأذنت بالدخول ورحبت به وأكرمت مثواه ثم جلست تحادثه عن غيابه وعن الجبل الأحمر وعن أحوال والدها.

فأورد حاتم وقص عليها الرواية بكاملها وأردف يقول: هذه هي جملة ما قاسيت من آلام وما عانيت من العذاب حبا فيك وهياما بك يا ربة الحسن ويا ملكة الجلال! أ فلا يترك أن يشرك كفاحي وأن أرى فيك ما يقضى أجل تعاسي وأيام شغائي فأعيش مرحاً في بحبوحة السعادة ومسارح الهناء؟ فأنجنت برأسها وصنعت وسمحت لأتربها فرصة النصح والرأى وقلن إن الذي يخاطبك الآن، نجل من أنجال ملك العين يا مولانا فذلك من سعادة الخط وأعجب تصريف الزمان

أن تجبي المطلوب وخير لك ولسمعتك أن تقاسمه الحياة ودعى عنك وجاني  
النسبة والنياحة على أبيك وكان ساحرا شاعرا، فلو أدركته المنية فنعما هي، فقد  
زال عن الأرض الفساد. فنهضت على استحياء وولت ودخلت غرقها داخل  
القصر من غير أن ترد الجواب.

وأما صواحبها والخادמות فقد تهللت وجوههن بحديث الزواج، فقمن  
بالترتبات اللازمة لحفلة السهرات لسبع ليال متواليات بهذه المناسبة السعيدة وأصبح  
القصر كوجه ضاحك مستبشر بالجور والسرور. ولما كان اليوم الثامن أقيمت  
حفلة عقد النكاح ليلا طبق التقاليد الموروثة في عشيرة حاتم، وعندما انقضى  
شطر من الليل وخلا بها في المبيت وكاد أن يتمتع إذ تذكر منير الشامي، وخاف  
الله ثم أخذ يقشعر، فتنحى عن الملكة جانبا، واستغربت هي مذعورة منه هذه  
المفاجئة، واحتارت فيما استنكر منها عند الوصال، واستحييت أن تسأله فظالت  
صامته، ولكن توسم حاتم فيها القلق والوجوم وقرأ على وجهها آيات الغرابة  
والعجب. فقال لا تجعلى الاضطراب يتسرب إلى قلبك يا روحى، ولا سمح الله  
بك أن تحزنى وأنا على قيد الحياة. وأما طورى هذا فلا شك يدفعك إلى  
التفكير ويجعلك في ضجر وضيق. ولكنى خرجت من بيتى فى عون صديق  
منير الشامي، إنه كلف بفتاة تسمى حسن بانو التى اقترحت عليه سبعة أسئلة  
كشرط للزواج. ولم يستطع صاحبي أن يرد ولا على واحدة منها، فأخرجته  
من ديارها، فحدث أن جمعتى به يد المصادفات عندما خرجت للاصطياد يوما،  
فكنت أعدو وراء فريستى متعقبا إذ بصرت فتى يبكى وينتحب، فوقف بجانبه  
وسأله عما به وما يبكيه فعلمت أنه بائس منكود، دقه الفقر ونهمه العوز والقنوط،  
فناظمه به غزادى واغرورقت لحاله عيونى ولم ألبث حتى أتيت به إلى حسن بانو  
فأخبرتها على أن للشول عن الرد على الأسئلة أنا بنفى، وعلى أن صديقى

منير الشامي بنعيم عندهما في دار ضيوفها كضيف محترم إلى أن أنتم لها آخر كلمة .

وها أنا في دور الاجابة عن السئل الرابع إذ فتنت بوجهك الجميل، نظرت إليك فلم أتمالك أن لا أتبع نظرائي وقد اخترقت سهام الغرام فوادى، فوقعت صريعا، فأصبحت ولا شأن لي في الحياة إلى أن قدر الله لي وصالك بعد ما طفت الارض واستغفت من ترها هاتما على وجهي، وكان من أحب رغائبي وأشهاها أن أفنطق من أزهار جمالك وأجتنى الأثمار من رياض حسنك، وأتمتع بنورة تمنحها أكمة فوادى . ولكن هيات أن أفعل، فقد عاهدت صديقي باليمن أن لا أكون متأخرا عن تادية واجي نحوه ولا متخلفا عنه أبدا . وإنني حرمت على نفسي ما تشبه ما دام هو بعيدا عن مرامه، فليس من المروءة والنبل أن هذا المسكين العائز بذوق مرارة الصبر في شاه آباد وأنا أتمتع بنعيم الحياة هنا . فمن وضع الأمور في نصابها أن تود عيني عن طيبة نفسك حتى أبلغ مدينة خوارزم وأعود بالرد الرابع على سئل حسن بانو .

فقلت الملكة ولكن من يقوم بأمرى بعدك وبعد أن هلك غنى أبي الكافل إياي . فأجاب حاتم إني مرسلك إلى يمن يحكمها أبي وهو يعتنى بك ويعامل أحسن وأكرم ما في مكنة بشر فلا تشعرين هناك بفقر ولا قصور . وكتب لها كتابا إلى أبيه يكتب فيه : ملاذى وكفى ! سأمثل أمامك وأقبل الأيدي الكريمة بعد فراغى عن مهمتى، لو أمد الله حياتى، وأتشرّف بالاجتماع بك . والجدير بالذكر إني مرسل إليك الملكة ذات الزى الذهبي وهى زوجتى، ومأمولى أن تكون لها خير ممتن وخير مقيم . وقصارى الكلام، وقع المكتوب . وزود الملكة بالحرسه والعمال وودعها إلى اليمن واتجه نفسه نحو خوارزم وقد بلغ مدينة بعد بضعة أيام وأصبح يسأّر الناس ويسألهم عن رجل كتب على باب داره وإن رجلا الصدق لا يزال في حياته مرتاحا . فقال له عابر سبيل، ليس هناك من

يخبرك بذلك ولكني سمعت كهلا كان يقول عن رجل مثل ما تقول، فسأله حاتم عن ماواه فقال إن مدينة خوارزم تبعد من هنا تسعة فراسخ وإن الرجل من أهاليها. فقام حاتم قاصدا إليها فوصل إليها ورأى قصرا منيفا فخا مكتوبا على باب القصر بالاحرف البارزة. فقرأ وفرح واستبشر ثم طرق الباب بلهفة فخرج من الحرسه غير واحد واستفسروه عما جاء به ومن هو؟ فقال إنه قاصد إلى سيدهم من شاه آباد فاخبروه. فقال دعوه يدخل. فدخل فرأى شابا جميلا جالسا على أريكة فاخرة فانحنى حاتم احتراما وسلم عليه. فنهض الشاب من مكانه وأعتقه ثم أجلسه بجانبه بالاكرام وبالشرف، ودعى بالمائدة بأصناف المآكل والوانها.

وسأل صاحب البيت بعد ما فرغ حاتم من الأكل من أنت وما دعاك إلى هنا وبعثك على هذه التعب الشديد من ضرب الأرض ووعناء السفر. فأعاد حاتم عليه القصة بطولها وطلب إليه أن يحدثه عن الكلام المكتوب على باب داره. فقال مهلا فقد أراك أعياك التعب وملاح وجهك تبدى التشاغل والنصب تخفف عنك من أعباء السفر واقض نهارك مستريحا، فسأذكر عن طلبتك غدا. فبات حاتم مرحا ونام نوما هادئا حتى الصباح. وفي اليوم التالي عندما فرغا من الفطور بدأ صاحب البيت بالحديث وقال: يا ساكن أرض الين! مضت من الأعوام سبعة وأشد أنشأوا مدينة خوارزم وعمروها وأنا اليوم ابن ثمانين سنة وكنت في تلك الأيام كما تراني اليوم شابا، وكنت مقامرا شهيرا بين زملائي ولم يكن يهمني عمل غير القمار. فالتعبير الدقيق أن تقول إن القمار كان صناعتي ومهنتي. فحدث يوما أن خسرت كل صفقة وذهبت عنى النقود. فأصبحت صفر الدين لا أملك ولا فلسا. فلما أقبل الليل خرجت من داري لصا، وإذا فكرة طرأت وخطرت على بالي أن السرقة من دار مجرب مسكين، عمل تافه



لا يسم ولا يفتي. وإنما الأمر الخطير أن أدخل قصر الملك فأختلس منه من  
هاتس الامتعة وأمنن الأموال. رسمت لنفسى هذه الخطة ورميت بوهقى فوق  
قصر الملك فى منتصف الليل وصعدت فولجت غرفة نوم الملك، وجدت الحرسه  
كلهم من ذكر وأنتى نائمى يوم المسبوت، ورأيت الملك كالمغشى عليه على  
سريه المرصع فدنوت منه وخلعت من رقبته الجوهرة النادرة المنورة بالليل  
ونزلت بالوهقى من القصر ومشيت فى سبيلى إلى ناحية من النواحي فأنتهيت إلى  
مكان قعر فى غابة فوجدت هناك لصوصا جالسى تحت شجرة يقتسمون فيما  
بيهم ما سرقوا. فلحقنى صدقة مدعوى عندهم وسئلوا عنى وعن عنوانى.  
فقلت لهم عما حدث لى وعن مكانى صدقا وكان الصدق من دأبى. ووضعت  
تلك الجوهرة النادرة اللامعة كالمصباح فى لينة مظلة أمامهم. وما قدت بنائى  
ماسكة بها حتى رأيتهم قد طمعوا فى خطفها من يدى، وإذا برجل قد برز  
نفته وصاح بصوت رهيب كرعده وبرق. ملأ الأرض رعبا. فشردوا به وفروا  
كأخر المستفزة، فرارها من فسورة، خائفين على أنفسهم. وبقيت هناك وحدى  
واقفا، فدنى الرجل منى وقال من أنت؟ فقلت له كما قلت لهم قبل ذلك  
ما كان حقا وصدقا. فتبسم ضاحكا وقال بما إنك صادق فيما تقول، وهبت  
لك هذه الأموال كلها ومعها الجوهرة المنورة على أن لا تعود إلى السرقة ولا  
إلى القماركة أخرى، وتب إلى الله. فلئن أطعت أمرى واعتبرت نصحتى، بلغت  
من عمرك تسعمائة سنة.

قال ذلك واختفى عن وجهى. فحملت البضاعة كلها إلى دارى. ثم بنيت  
لنفسى بيتا رفيعا حسدوى على ذلك جيرانى وسعوا بى إلى شحنة البلد وقالوا إن  
هذا الرجل فقير البارحة، لم يكن يملك بالأمس فلسا، فمن أين له أن يشيد اليوم  
قصرا عظيما كهذا، جيلا كما نرى. فدعانى الضابط وسألنى عن مصدر ثروتى

فأسردت عليه ما وقع بالحق فاقفادني الضابط إلى الملك، فأخبرته بالامر كما هو غير خائف على نفسي فأعجبته صراحتي بالامر. فأكرمني ونعم بأمواله من خزائنه فوق مالي ساعياً عنى خطيئتي. فأصبحت وعندى من الثروات والأموال طائلة ما لها من نقاد. لم تزل منها عندي كمية كبيرة على أنى أنفقت قدراً ضخماً فيما أنفقت منها، ومنذ ذاك اليوم كتبت على باب دارى: «رجل الصدق لا يزال مرتاحاً». وعلى الناس أن يعيشوا وهم صادقون.

استأذن حاتم بالانصراف بعد ما قضى بضعة أيام، واستأنف السير عائداً إلى شاه آباد، فتذكر يوماً وجه الملكة ذات الزى الذهبى، فعزم أن يزور حبيبته ثم يتوجه نحو شاه آباد فأنشئ وهو فى سبيله إلى الين، فواصل سيره ليلاً ونهاراً حتى اقترب ثغورها. وكان طروباً بدنوه بلاده إذ مر على بركة فى سبيله فجلس على حافتها مستريحاً وقد رأى على مقربة منه زوجى حمام يحاوران، فأردف حاتم سمعه، فكانت الأثنى تقول:

— وأين تقصد تاركاً أياى وحيدة، أقسمك بالله لا تفارقنى.

— يا لسفاهة منك رأيا، لا تكونى عثرة تحول دون عمل صالح فى سبيلى، وما جدواك يوم القيمة إن انغمست فى الدنيا شاغلاً عن صالح الأعمال، أما سمعت أن ملكاً خرج يوماً للصيد وبالع فى سعيه ولكن خاب أمله، فلم يتمكن أن يهدف صيدا وتمادى فى سعيه إلى أن انقطع عن رجاله وجنده فى مضلة فى الصحراء وصادف أن بلغ روضة أنفا دخل فيها وانتهى فى سيره فيها إلى قصر جميل يدانيه حوض راق الملك منظره ومائه، فجلس على طرف منه وأخذ يعبث بالماء فيرش بكفه تارة ويرمى ويهدف أخرى، وإذا سلسلة اشتبكت يده فجذبها إليه، فإذا صندوق مغلق بقفل وبه مفتاحه. فأخرج الملك وفتح بالمفتاح فإذا هناك جملة حياء جالسة فيه، فذعر بها الملك فقالت لا تخف أنا إنسى

أنت إنسان وخرجت من الصندوق، ثم أنت بالكأس وبالآنا. وبالذى يقول  
فيه الشاعر:

صفراء لا تعرف الأحزان وطأنه . لو مسح حجر مسته سراه  
وأثارت فيه رغبات حنينة، فدار برأس الملك أن الفرصة سانحة فليكن متمنا بها  
ولا مضيقا إياها، فترب وسكر ولعب بها دور كل سكير. وعندما انتهى تذكر  
جده ورجاله فقام وبرز خاتمه من خنصره ومد يده به إليها وقال: ذلك تذكر  
مى إليك فلا تنسى عندما جمعنى بك الظروف. ما أن سمعت ذلك من  
الملك حتى صهكت وقدمت بين يديها صرة ملآنة بالخواتيم وقالت أيها الفقى  
إن الله علام الغيوب وإبه بصير بالعباد، إن زوجى رغبة فى صيانتى وحرصا  
على عافى دبر لى كل حيلة فأتى بى إلى هذا المكان الثانى وألقانى فى هذه البركة  
فى صندوق مغلق كما رأيت، وراح يحول اللاد، يتجر مع التاجر، وأنا هناك  
فى رعد من العيش فقد هبأ لى من المآكل كل شىء. ولكن مع ذلك كل ما  
يتاح لوارد مثلك أبما كان ملكا أو تاجرا أن يدخل الروضة، فيدنو الحوض ثم  
يخرجى ويمنع بى، فيقدم خاتمه بين يديها عندي من الخواتيم عدد كبير ولم  
يقب على صفحة ذاكراتى من خاتم رسم لصاحبه. فسأناك يا زائرى وأنسى  
خاتمك كما نسيت الذين سبقوك. وليست المسئلة مسئلة خاتم أو خاتمين حتى  
أذكره أو أذكرهما وإنما هناك حديث المئات بل أعداد الآلاف فهل من  
الميسور المعقول ما تفكر فيه؟ سمع الملك ذلك وكاد أن يفقد رشده، فأغلق  
الصندوق وألقاه فى الماء. كما كان. ففادر الروضة وشأنها واتصل بجنده ورجاله  
وعاد بعد بضعة أيام إلى عاصمته، ثم دعى الفقراء والمساكين ووزع عليهم أمواله  
وثرواته وخرج من قصره الملكى إلى الصحراء واشتغل بذكر الله وعبادته فى ناحية  
ناحية عن الناس، ولم يذكر يوما عن المرأة اسمها ما دام حيا. وما هو خاتم  
أكثر ما عانى من الأخطار والأهوال فى سبيل البر والاحسان وما أشد ما عانى

من الآلام في عون عباد الله، وقد أثمرت له مساعيه بعض السمعة ولكنه تذكر  
حبيبته الملكة ذات الزى الذهبي في طريقه إلى شاه آباد فولى وجهه نحو اليمن،  
فأسفا عليه أنه يضع عمله يده عبثا.

ما أن سمع بذلك حاتم حتى خر ساجدا شاكرًا لله، وعلم علم اليقين أن  
صوت الحمامة وحى من الله سبحانه وعزم على أن ينصرف عن طريقه ويتوجه  
نحو شاه آباد، ففعل وقد بلغ بعد بضعة أيام قصر حسن بانو وكانت تذوق  
مرارة الانتظار، فرحبت به واستمعت إلى أحاديثه من المفاجئات المريعة ومن  
الأعمال السحرية وصدقت ما سمعت وأمرت له بالمائدة ولكن حاتم اعتذر إليها  
وقال إنه يجب أن يأكل وبجنبه صديقه منير الشامي في دار الضيوف. فنهض  
من مكانه وعاد إليه فصاحه واعتق به اعتناقًا حارًا ثم أسرد عليه كل ما حدث  
له وكانا ياكلان.